

أضواء البيان

@ 54 أَمْ نَفْسَكُمْ ° وَأَهْلِيكُمْ ° نَارًا { . .

فكان أحد الأمرين بالتقوى يكفي لذلك ويشمله ، ويكون الأمر بالتقوى الثاني لمعنى جديد ، وفي الآية ما يرشد إليه ، وهو قوله تعالى { مَّا قَدَّسَ مَتَّ ° } ، لأن (ما) عامة كما قدمنا وصيغة قدمت على الماضي يكون الأمر بتقوى □ أولاً بالنسبة لما مضى وسبق من عمل تقدم بالفعل ، ويكون النظر بمعنى المحاسبة والتأمل على معنى الحديث : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فقد ذكره ابن كثير . .

فإذا ما نظر في الماضي وحاسب نفسه ، وعلم ما كان من تقصير أو وقوع في محذور ، جاءه الأمر الثاني بتقوى □ لما يستقبل من عمل جديد ومراقبة □ تعالى عليه { وَاللَّاهُ بِرَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } ، فلا يكون هناك تكرار ، ولا يكون توزيع ، بل بحسب مدلول عموم (ما) وصيغة الماضي (قدمت) والنظر للمحاسبة . . تنبيه .

مجيء (قدمت) بصيغة الماضي حث على الإسراع في العمل ، وعدم التأخير ، لأنه لم يملك إلا ما قدم في الماضي ، والمستقبل ليس بيده ، ولا يدري ما يكون فيه ، { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا } وكما في وقوله : (حجوا قبل ألا تحجوا) ، وقوله تعالى : { وَسَارِعُوا ° إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ° } ، وقوله تعالى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا ° اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ ° أَنفُسَهُمْ ° أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } . .

بعد الحث على تقوى □ وعلى الاجتهاد في تقديم العمل الصالح ليوم غد جاء التحذير في هذه الآية من النسيان والترك وألا يكون كالذين نسوا □ فأنساهم أنفسهم ، ولم يبين هنا من هم الذين حذر من أن يكونوا مثلهم في هذه النسيان ، وما هو النسيان والإنساء المذكوران هنا . .

وقد نص القرآن على أن الذين نسوا □ هم المنافقون في قوله تعالى في سورة التوبة : { الْمُنَافِقُونَ ° وَالْمُنَافِقَاتُ ° بَعِضُهُمْ ° مِّن بَعِضٍ ° يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ° وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ° وَيَقْبِضُونَ ° أَيْدِيَهُمْ ° نَسُوا ° اللَّهَ ° فَنَسِيَهُمْ ° إِنَّ ° الْمُنَافِقِينَ ° هُمُ ° الْفَاسِقُونَ } وهذا عين الوصف الذي وصفوا به في سورة الحشر . وقوله تعالى : { فَنَسِيَهُمْ ° } أي أنساهم أنفسهم ، لأن □ تعالى لا ينسى { لَّا ° يَضِلُّ ° رَبِّي ° وَلَا ° يَنْسَى ° } ، { وَمَا كَانَ ° رَبُّكَ °

